بتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها
ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله و
مجده ورفعته ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة
ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتقديس والتكبير والأمر ينزل من
فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة
آخرين وإعزاز قوم وإذلال آخرين وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء
الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير وإغناء فقير وشفاء مريض وتفريج
كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان
خائف وإجارة مستجير ومدد لضعيف وإغاثة لملهوف وإعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف
لعدوان فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العوالم
لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد
وقتها ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فحينئذ
يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عانيا لعزته فيسجد بين يدي
الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره
ومحل ملكه وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه فيا له من سفر ما أبركه وأروحه وأعظم
ثمرته وربحه وأجل منفعته وأحسن عاقبته سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة
وغنيمة العقول والألباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب انتهى كلامه رحمه الله تعالى وأما
الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا به صلى الله عليه وسلم
بل كل صالح يرجى أن يستجاب فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة
والعامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك وأما
الميت فإنما شرع في حقه الدعاء على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك وهذا هو الذي شرع في حق الميت
وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم فسمى تعالى دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شركا وكفر به المدعو يوم القيامة
أي ينكره ويعاديه فعله يوم القيامة كما في آية الأحقاف وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب له ولا ينفع ولا يضر والصحابة رضي الله عنهم

لا سيما

لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حتى في أوقات الجدب كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي خرج بالعباس
عم النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يستسقي لأنه حي حاضر يدعو ربه فلو جاز أن يستسقى بأحد بعد
وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين الأولين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر الفرق بين الحي و
الميت لأن الحي المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضرا فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء
من يدعو ويتضرع إليه وهم كذلك يدعون ربهم فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل ولو كان
دعاء الميت خيرا لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص وهم بالسنة أعلم وأقوم فمن تمسك بكتاب
الله نجا ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق قوله **باب ما**
جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك حمايته صلى الله عليه
وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد وينقص وهذا
كثير في السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كقوله لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقوله إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل
ونحو ذلك ونهى عن التمادح وشدد القول فيه كقوله لمن مدح إنسانا ويلك قطعت عنق صاحبك
والحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلا أثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له قطعت عنق صاحبك ثلاثا وقال إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب أخرجه مسلم
والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الأسود وفي هذا الحديث نهى أن يقولوا أنت سيدنا وقال
السيد الله تبارك وتعالى ونهاهم أن يقولوا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا وقال لا يستجرينكم
الشيطان وكذلك قوله في حديث أنس أن ناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
فقال يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان كره صلى الله عليه وسلم أن
يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو وأخبر صلى الله عليه وسلم أن مواجهة الممدوح للممدوح بمدحه
ولو بما فيه من عمل الشيطان لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد
فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه وذلك غاية الذل في غاية المحبة وكمال الذل
يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة إلى الله تعالى وأن لا يرى لنفسه إلا في مقام الذل لها والمعاتبة
لها في حق ربه وكذلك المحبة لا تحصل غايتها إلا إذا كان محابه الله ورسوله ما يكرهه الله من الأقوال
والأعمال والإرادات والمحبة للمدح من العبد لنفسه تنافي ما يحبه الله وتعالى والمادح نفس من نفس
فكان أن تمنعه فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسا والنهي عنه صيانة لهذا المقام
ومتى أخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصت أعماله وصحت ومتى دخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب

Copyright King Saud University